

اختلاس الأصوات في النص القرآني

دراسة صوتية - دلالية

أ.م.د. عادل عباس النصراوي

جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة

ملخص

تنبّه علماء اللغة قديماً وحديثاً على أهمية الصوت في اللغة - أيما لغة كانت - لأنه يمثل اللبنة الأساس في بناء اللفظ ، الذي يؤلف في عموم تراكيبه دلالة لا يمكن الاستهانة بها ، وإن كانت في بعض الأحيان مضمرة ، لكن بمجموعها يصبح لها تأثير كبير موجّه لدلالة النص اللغوي عموماً ، والنص القرآني خصوصاً ، وتجد آثار ذلك واضحة من خلال فواصل الآيات أو من خلال الوقف والسكت أو القصر ، ممّا يعمل انسجاماً داخل مكونات النص المبارك ، وأنّ أيّ خلل فيه بسبب من قراءة شاذة أو خاطئة سيُشعر المتلقي باختلاف في التوازن الداخلي للنص وقلة في الانسجام أو عدمه.

ونتيجة لذلك فقد وضعوا الضوابط في حفظ القراءة من اللحن وعدّوا مثلاً اشباع المختلس من الأصوات في القرآن الكريم أو اختلاس المُشَبَّع منها ممّا لا يجوز شرعاً لأنه يخلّ بأحكام القراءة وقد يخلّ بالدلالة أيضاً بسبب من اختلال التوازن الصوتي وانعدام الانسجام الداخلي فيه.

لذا كان منطلق بحثنا في اختلاس الأصوات ببيان أهمية هذه الظاهرة الصوتية في النص القرآني عموماً ، وهذه الظاهرة موجودة في الشعر العربي القديم وصدر الإسلام ، وتوارثوها عمّا سبقهم ، فظهرت واضحة جلية في القرآن الكريم .

لقد تمثلت ظاهرة الاختلاس في أحرف العلة (الواو والياء والألف) كثيراً ، فضلاً عن حركات الأصوات الصامتة ، وبدت في قطع الحركة أو جزمها أو تخفيفها أو قصرها ، وسيتولّى البحث بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

مدخل

تنبّه علماء اللغة قديماً وحديثاً على أهمية الصوت في اللغة - أيما لغة كانت - لأنه يمثل اللبنة الأساس في بناء اللفظ ، الذي يؤلف في عموم تراكيبه دلالة لا يمكن الاستهانة بها ، وإن كانت في بعض الأحيان مضمرة ، لكن بمجموعها يصبح لها تأثير كبير موجّه للنص اللغوي عموماً ، والنص القرآني خصوصاً ، وتجد آثار ذلك واضحة في ضوء فواصل الآيات أو من خلال الوقف والسكت أو القصر ، ممّا يعمل انسجاماً داخل مكونات النص المبارك ، وأنّ أيّ خلل فيه بسبب من قراءة شاذة أو خاطئة سيُشعر المتلقي باختلاف في التوازن الداخلي للنص وقلة في الانسجام أو عدمه.

لذا أولى العلماء الصوت أهمية كبيرة وطوّروا أبحاثهم في أدق فواصله ، قديماً وحديثاً ، ولا سيّما علماء القراءات القرآنية والتجويد فألّفوا فيه كثيراً من المصنفات التي عتّت بذلك ، جرياً وراء حفظ القرآن الكريم من وقوع الخطأ فيه والزيغ والخروج عن الصحيح.

ومن اهتمام العلماء أيضاً بالصوت اللغوي ، ولا سيّما ما تعلّق منه بالنص القرآني ، أن ضبطوا مصطلحاته وضبطوا مفاهيمه وذلك لأهمية ما يقومون به ، لأنّ القرآن الكريم دستور حياة المسلمين والموجّه لهم في أعمالهم وعباداتهم ومصدر التشريع ، لذا فأبى ضغف في ضبط المفاهيم والمصطلحات أو خلل فيها سوف تجد آثاره في استنباط الأحكام والتشريعات ، فحذا العلماء حذواً حثيثاً في استكناه المضامين لها كي يوجّه البحث العلمي بالاتجاه الصحيح ؛ منعاً للزيغ والانحراف ، ونتيجة لذلك وضعوا الضوابط في حفظ القراءة من اللحن وعدّوا مثلاً اشباع المختلس من الأصوات في القرآن الكريم أو اختلاس المُشَبَّع منها ممّا لا يجوز شرعاً ؛

لأنه يخلُّ بأحكام القراءة وقد يخلُّ بالدلالة أيضاً بسبب من اختلال التوازن الصوتي وانعدام الانسجام الداخلي فيه.

وقد أكّد علماء القرآن الكريم كثيراً ضرورة الاحتراز من الوقوع في أخطاء تلاوته ، وحثوا على معرفة الوقف على تصرف حركاته وسكناته مستعيناً بها على أحكام اللفظ ، لأنّ المعاني تختلف باختلاف حركات اللفظ وسكناته ، ففسّموا اللحن على لحن جليّ وآخر خفيّ ، فالظاهر ما يطرأ على اللفظ بسبب مخالفته لقواعد القراءة ومقاييس التلاوة وقواعد اللغة وإعرابها والوقف في محلّه المؤدّي الى انحراف الدلالة وغموض المعنى ، وأمّا اللحن الخفيّ فهو عندهم لا يخصّ قواعد الاعراب ولا يخلّ بها بل هو خطأ يطرأ على اللفظ بسبب مخالفته لكمال الضبط ونهاية الحسن ، وعدّوا ذلك ممّا لا يخلّ بالمعنى غير أنّ البحث أثبت خلاف ذلك ، ولعلّ في وضع أحكام عقابية خير دليل على أنّ اللحن بنوعيه ممّا يخلّ بالضبط المؤدّي الى الاختلال بالمعنى أيضاً.

لذا كان منطلق بحثنا في اختلاس الأصوات ببيان أهمية هذه الظاهرة الصوتية في النص القرآني عموماً وهذه الظاهرة موجودة في الشعر العربي القديم وصدر الإسلام ، وتورثت ، فظهرت واضحة جلية في القرآن الكريم .

لقد تمثلت ظاهرة الاختلاس في أصوات العلة (الواو والياء والألف) كثيراً ، فضلاً عن حركات الأصوات الصامتة ، وبدت في قطع الحركة أو جزمها أو تخفيفها أو قصرها ، وسيتولّى البحث بيان ذلك إذا شاء الله تعالى.

الاختلاس في اللغة والإصطلاح

الاختلاس في اللغة : - من الفعل (خَلَسَ) ، الثلاثي ، ومضارع يخلِس - بكسر اللام - من باب ضَرَب يَضْرِب ، ومصدره خَلَسَ ، على زنة فَعَلَ ، والاختلاس من الفعل الثلاثي المزيد بحرّفين (اخْتَلَسَ) على زنة افتعل التي من وظائفها التصرف ، (أي : الاجتهاد في تحصيل أصل الفعل)^١ ، والاختلاس هو اجتهاد في تحصيل السلب نَهْرَةً ، قال ابن فارس (ت ٣٨٥هـ) : (خَلَسَ: الخاء واللام والسين أصل واحد ، وهو

^١ - شرح شافية ابن الحاجب / الرضي الأستربادي : ٧٩/١ ، ظ : شرح النظام / نظام الملة النيسابوري : ٥٨

الاختطاف والالتماع)^١ ، وفيه تتحقق السرعة في أخذ الشيء مع الحذر الشديد ، وقال ابن منظور: (الْخُسُّ : الأخذُ في نَهْزَةٍ ومخاتلة ،... الجوهرى : خلسْتُ الشيء واختلسته وتخسسته إذا أستلبته ، والتخالس التسالب)^٢ ... وانشد ثعلب^٣ :

نظرتُ الى ميِّ خِلاساَ عشيَّةً على عجلٍ والكاشحونُ حُضورُ

كذا مثل طرف العين ، ثم أجنَّها رواقٌ أتى من دونها وسثورُ
فالمعنى اللغوي يحقّق في الاختلاس معاني سلب الشيء على وجه السرعة والمخاتلة والنّهزة المصحوبة بالإجتهاد في الأخذ الذي يقتضي الخفة والخطف.

الاختلاس في الإصطلاح :

هو عدم الإشباع في تصويت الحركة ، فلا تشيع فتتحوّل الى صائت طويل وذلك لأجل التخفيف^٤ ، قال ابن جني : (وخففوا عن ألسنتهم بأن اختلسوا الحركات اختلاساَ ، وأخفوها فلم يمكثوها في أماكن كثيرة ولم يُشبعوها)^٥ ، لأنّ إشباع الحركة يؤدي الى حرف لين من جنسها ، فلفظة (ديّة) في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾^٦ ، لا تشيع كسرة الدال فيها وإنما تلفظ كسرة سريعة خفيفة لنلا تصبح ياء ثانية ، فتكون (ديّية) وتقرأ (ديّة)^٧ ، وعدّوا هذا نوعاً من اللحن الخفي. إذن الاختلاس هو حذف حركة من صوت مدّ غالباً أو عدم إشباعها ، بل تلفظ لفظاً سريعاً ، مجتهداً بذلك في أخذها ولفظها.

مرادفات الاختلاس :

ترد في كتب القراءات والتجويد وعلوم القرآن الكريم مصطلحات تدلّ غالباً على مايدلّ عليه مصطلح الاختلاس ، وكأنّه يجري مجراه ، وإن اختلف عنه بعض الشيء ، إلا أنّه في الغالب دال على تخفيفها أو قطعها أو حذفها ، فمن هذه المصطلحات ما يأتي :-

- ١- التخفيف : هو إضعاف نطق الصوت و جعله بين بين^٨ ، وإن كان بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) ، يقصد بها تخفيف الهمزة ، إلا أنّ ما أوصى به في مجمل كلامه هو معنى التحقيق الذي يطراً على الأصوات وخاصة الهمزة ، غير أنّ الذي يرادف الاختلاس هو حذف الحركة المفردة أو الصوت المدّي ، ومن التخفيف الذي ذكره علماء القراءات في قوله تعالى :
- ١- ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^٩ ، إذ روي بالتخفيف بمعنى اختلاس حركة الياء (ننج) عن ابن عامر وحفص والكسائي من القراء^{١٠} ، وكذلك قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾^{١١} ، روي القراءة بالتخفيف اختلاسا عن

١ - معجم مقاييس اللغة / ابن فارس : ٣٨٠ - خلس

٢ - لسان العرب / ابن منظور : ١٧٢/٤ - خلس

٣ - ظ : م . ن .

٤ - ظ : معجم الصوتيات / د. رشيد عبدالرحمن العبيدي : ٢٢ - الاختلاس

٥ - الخصائص / ابن جني : ٧٣/١

٦ - سورة النساء / الآية ٩٣

٧ - ظ : معجم الصوتيات / د. رشيد عبدالرحمن العبيدي : ٢٢ - الاختلاس

٨ - ظ : شرح المراح / العيني : ١٧٣-١٩٤

٩ - سورة الأنبياء / الآية ٨٨

١٠ - ظ : المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر / الشهرزوري : ٣ / ١٣

١١ - سورة آل عمران / الآية ٧٥

أبي عمرو بن العلاء^١، وأيضا في قوله تعالى ﴿مستظرا﴾ إذ روي بتشديد الراء عن عاصم والباقيين بفتح الطاء وتخفيف الراء^٢ بمعنى اختلاسها.

٢- الجزم: في اللغة (القطع: جزمت الشيء أجزمته جزماً: قطعته... ومن القراءة أن تجزم الكلام جزماً بوضع الحروف مواضعها في بيان ومهل،... يقال: افعال ذلك جزماً فكأنه قطع الاعراب عن الحروف، ابن سيده: الجزم اسكان الحرف عن حركته من الاعراب من ذلك لقصوره عن حفظه منه وانقطاعه عن الحركة ومد الصوت بها للاعراب)^٣، فالجزم هو قطع الحركة عن الحرف، وهو شبيه بالاختلاس إلا أن الجزم لا يسلب الحركة نَهْزة أو بسرعة، وقد استُعير في القراءات بمعنى الاختلاف في مواضع عديدة منها ما (روى ذلك عن الزبيدي نصاً جميع أصحابه، وترجموا عنه بالجزم ما خلا ابن جبير، فإنه قال عنه في «بارئكم»^٤ يسكن الهمزة ويختلسها، وقال ابن سعدان عنه في آل عمران «ولا يأمركم» و «أيا مركم» كلاهما رفع ويخفها كأنهما جزم، وقولهما هذا يدل على اختلاس الحركة)^٥، ونقل كذلك عن أبي عمرو أنه يجزم الياء من (بارئكم) بمعنى اختلاسها^٦ وكذلك في قوله سبحانه «ومن يأتِه»^٧ إذ (قال الزبيدي يلزم أبا عمرو أن يقرأ «ومن يأتِه» جزماً)^٨ بمعنى اختلاساً، (وروى ابن جبير عن سليم «لا يؤدّه»^٩، «لا يؤدّه»^٩ و «نؤله»^{١٠} و «ونصله»^{١١} و «ويخش الله»^{١٢} و «ويثقه»^{١٣} بجزم الهاء^{١٤} أي اختلاس حركتها ومنهم من عدّ القصر بمثابة اختلاس الأصوات، فأورد أمثلة من الحروف المختلفة فقال: (والذي نعيه هنا من القصر هو حذف حرف العلة الواو أو الياء من آخر الفعل المعتل وإن لم يُعَلَّ أو بتعبير آخر «مانقص عن اللفظ كحذف الواو اكتفاء بالضمّة، وحذف الياء اكتفاء بالكسرة»^{١٥}، أو هو ما عتبر عنه ابن جني بحذف حرف المدّ الألف أو الواو أو الياء والاكْتفاء بحركة ما قبله)^{١٦}، كقول الشاعر:

كفّك كفّ لا تُلبقُ درهماً جوداً وأخرى تُعطِ بالسيفِ الدما
يريد: تُعطي، أيضاً قوله تعالى ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾^{١٧}، وكُتِبَ بغير واو، وهو قليل في الألف لخفة الألف^{١٨}.

أسباب الاختلاس ومسوغاته:

- ١ - ظ: المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر/ الشهرزوري: ٣ / ١٣
- ٢ - ظ: م. ن: ٣ / ٢٩٤
- ٣ - لسان العرب / ابن منظور ٣ / ٢٧٧ - جزم
- ٤ - سورة البقرة / الآية ٥٤
- ٥ - جامع البيان في القراءات السبع / الداني: ٤٠ / ٢
- ٦ - ظ: م. ن: ٤١ / ٢
- ٧ - سورة آل عمران / الآية ٧٥
- ٨ - جامع البيان في القراءات السبع / الداني: ١٣٣ / ٢
- ٩ - سورة آل عمران / الآية ٧٥
- ١٠ - سورة النساء / الآية ١١٥
- ١١ - سورة النساء / الآية ١١٥
- ١٢ - سورة النور / الآية ٥٢
- ١٣ - سورة النور / الآية ٥٢
- ١٤ - ظ: جامع البيان في القراءات السبع / الداني: ١٣٣ / ٢ - ١٣٤
- ١٥ - الأفعال المعتلة في القرآن الكريم- دراسة لغوية- عقيل جاسم دهش: ٥٠ (رسالة ماجستير).، ظ: البرهان في علوم القرآن / الزركشي ٧٥٠ - ٧٢٦
- ١٦ - ظ: الخصائص / ابن جني: ٣ / ١٣٥
- ١٧ - سورة الشورى / الآية ٢٤
- ١٨ - ظ: م. ن. والبيت غير منسوب.

أرجع العلماء حذف الحركات واختلاصها في القرآن الكريم وكلام العرب في شعرهم ونثرهم الى أسباب عدّة هي:

- ١- ضعف الحركة ، قال ابن جني : (وإذا كان الحرف لا يتحمل بنفسه حتى يدعو الى اخترامه وحذفه كان بأن يضعف عن تحمّل الحركة الزائدة عليه فيه أخرى وأحجى) ^١ ولعلّ السبب في ذلك أنّ أصول هذه الحركات الأحرف المدية وهي أضعف الحروف ، والحركات أبعاض الحروف ، لذا فهي أكثر ضَعْفاً من تلك وأكثر تعرضاً للحذف والاخترام والاختلاص من غيرها.
- ٢- إنّ الاختلاص في الحركات لغة عند بعض العرب ومثال ذلك قراءة عبدالله بن مسعود لقوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا﴾ ^٢ ، وقرأ " فُقُلَا " ، وهي لغة عند بعض العرب ^٣.
- ٣- يحذف حرف اللين رعاية للفواصل ^٤ فيعوّض عنه بحركة من جنسه ، نحو قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ ^٥ ، و﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ ^٦.
- ٤- قد يكون اختلاص الحركة وحذفها لأجل السرعة ، كما في قوله تعالى : ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ ^٧ وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ ^٨ ، إذ حذفت الواو في (يدعو) لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة ^٩.
- ٥- التقاء الساكنين ، وذلك في قوله سبحانه ﴿وَيَمُحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ ^{١٠} ، حذف حركة في اللفظ لانتقاء الواو الساكنة مع اللام الساكنة من اسم الجلالة سبحانه ^{١١} ، وذلك طلباً للخفة وسهولة اللفظ.
- ٦- التوازن في المفردة ، فالمفردات التي طالت وكثرت حركاتها احتاج النطق بها الى توازن صوتي بين أجزائها فيكون ذلك باختزال إحدى حركاتها واختلاصها فضلاً عن تأثير ذلك في مجمل بنية السياق الذي ترد فيه تلك المفردة الذي تدعو الحاجة فيه الى ارتفاع صوتي متناغم بين المفردات المؤلفة لذلك السياق.
- ٧- الدلالة ، إنّ اختلاص بعض الأصوات سيعمل على توجيه دلالة الألفاظ بما يلائم حالة السياق العام للآية القرآنية فضلاً عن تهيئة مستلزمات ما يحيط بالجو العام للآية كالإيقاع الموسيقي وغيرها ^{١٢} المؤثرة في مجمل دلالة الآيات التي ترد فيها الألفاظ التي وقع الاختلاص في الحركات.

الأصوات المدية :

قبل البدء في دراسة اختلاص الأصوات المدية لابدّ لنا من معرفة موضع هذه الأصوات وطريقة تكوينها ، حتى يمكننا من خلال ذلك معرفة سبب تمكّن المتكلم من اختلاص بعض هذه الأصوات أو الحركات ، وماهي الآثار التي تترتب على ذلك ؟

الأصوات المدية هي (الألف والواو والياء) ، والملاحظ فيها أنّها لا تنتمي في وجودها الى أي موضع من مكونات مدرج الفم واللسان ، وإنّما تولد في جوف الفم ، لذا سمّاها الخليل بالهوائية ^١ ، فاتسع مخرجها

^١ - الخصائص/ ابن جني : ٢ / ٢٩٤ .

^٢ - سورة طه/ الآية ٤٤

^٣ - ظ: الخصائص/ ابن جني: ٣ / ١٣٣ - ١٣٤ .

^٤ - ظ : الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني/ د.حسام النعيمي: ٢٠٨

^٥ - سورة الفجر / الآية ٤

^٦ - سورة الكهف / الآية ٦٤

^٧ - سورة الإسراء/ الآية ١١

^٨ - سورة القمر/ الآية ٦

^٩ - ظ : البرهان في علوم القرآن / الزركشي: ٢٧٦/١

^{١٠} - سورة الشورى/ الآية ٢٤

^{١١} - ظ: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني/ د. حسام النعيمي : ٢٠٩

^{١٢} - ظ: مجلة ينباع - موضوع : اختلاص الأصوات وإبقاؤها في بعض ألفاظ القرآن الكريم - دراسة صوتية / عادل عباس النصاروي : ٦٤-٦٧ / العدد ٤ لسنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

حتى تمكنت هذه الأصوات من عبور مجرى الفم من دون عائق يُذكر فأصبحت مجهورة واضحة في السمع إذا ما قيست بالأصوات الصامتة ، ولذا صُعِبَ ضبطها بسبب صعوبة تحديد مخرجها في فضاء الفم^١ ، وموضع الاعتماد فيه ، ولعلّ ابن جنّي من أوائل من رصد هذه الظاهرة واقتربت منه الدراسات الصوتية الحديثة في تحديد موضع ولادة الصوت اللغوي ، قال : (اعلم أنّ الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفَسِ مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تتنبيه عن امتداده واستطالته ، فيسمّى المقطعُ أينما عرض له حرفاً^٢ ، فكان سبيله الى معرفة موضع ولادة الصوت عندما يعترض النَّفَسَ عائقٌ يعرض له فيحدّد مكانه ، غير أنّ الأصوات المديّة لم يعترضهما عائق عند انطلاق الهواء بها ، لذا كانت هوائية جوفية قلقة ، غير محدّدة بحدود تلمزها وهذا ممّا أكسبها ضعفاً وأعطاه مرونةً في التحوّل والانتقال من حال الى حال مع إمكان اختلاصها أو جزء منها.

إنّ الدرس الصوتي الحديث قد أخذ بالتقسيم القديم لهذه الأصوات فعَدَّ الحركات أبعاضاً من الأصوات المديّة ، كما كان يرى ذلك ابن جنّي : (اعلم أنّ الحركات أبعاضُ حروف المدّ واللين أو هي الألف والياء والواو ، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو)^٣ ، وذكر أيضاً في موضع آخر مدلاً على أنّ الحركات أبعاض الأصوات المديّة قوله : (ويدلّك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنّك متى أشبعت واحدة منهنّ حدث بعدها التي هي بعضه)^٤.

فاشباع هذه الحركات يؤدّي الى أن تكون أصواتاً مدّية ، وذلك بسبب إطالة النَّفَسِ معها ومدّها لتأخذ زمناً أكبر ، فيمتد معها الصوت فتصبح أطول ممّا سبقها ، وأنّ مدّ النَّفَسِ خاصّ بالمتكلم فهو الذي يُحدّد مقدار هذا المدّ طويلاً وقصراً وعندها تكون هذه الأصوات محددة بإرادة المتكلم مع إمكانها على تلبية مُرادها ، ولو كان لها موضع تعتمد عليه في مدرج الفم أو اللسان مع أي عضو آخر لتعذّر عليها الإجابة ، لأنّ إنفلاتها عن موضعها المعتمد سيخرجها الى موضع آخر ، فيحدث حينئذ إبدال وليس اختلاصاً ، لذا فالاختلاص لا يحدث إلا في الأصوات الضعيفة ، أي غير المعتمّدة على موضع من مواضع مدرج الفم واللسان.

أمّا نشأة هذه الأصوات وتنوّعها فأنّه يتعلّق بمساحة الفراغ المتكوّن عند النطق بهذه الأحرف أو الحركات ، فضلاً عن حركة اللسان وتوازنه مع الحنك ، من دون إحداث عائق يعيق مجرى الهواء عند التلقّظ بها.

فنشأة الألف تكون عندما يهبط اللسان الى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم حتى يستوي منبسّطاً في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك^٥ فحدود هذه المساحة هي حدود ولادة الألف في الفم ، ونرى فيها غياب عائق يحول من دون مرور الهواء بسهولة ويسر بملء الفم ، أي عدم تدخّل زمن النطق بها وعدم إشباع صوت الألف.

^١ - ظ. كتاب العين/ الخليل : ٥٣/١

^٢ - ظ. الأصوات اللغوية/ د. إبراهيم أنيس: ٢٩-٣٠

^٣ - ظ. سرّ صناعة الاعراب/ ابن جنّي: ١٩/١

^٤ - م. ن. : ٣٣/١

^٥ - م. ن. : ٣٣/١

^٦ - ظ. محاضرات في اللغة / د. عبد الرحمن أيوب: ٩٤

أما ولادة صوت الياء المدية فإنّ الدرس الصوتي الحديث قد اتفق مع ما ذهب إليه علماء الصوت القدماء ، قال ابن جني : (وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلاً وعلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته ، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان ، فجرى الصوت متصعداً هناك ، فلأجل تلك الفجوة استطال) ^١ ، فضغط الأضراس على جنبتي اللسان يحدث تعبيراً باللسان مع انكماش في فجوة الفم ، وإنّ تفاج الحنك عن ظهر اللسان ، يزيد مساحة الفجوة من نهاية الفم قرب الحلق ، ممّا يُفقد صوت الياء المدية شيئاً من الفخامة والقوة التي في الضمة مثلاً.

وإذا ارتفعت مقدمة اللسان الى أعلى من دون أن تقترب اقتراباً شديداً من سقف الحنك الصلب فتتولد الكسرة ^٢ ، لأنّ ذلك سوف يُقصر من الزمن اللازم لنطق الياء المدية مع السرعة في الأداء ولكن عندما يضيق الفراغ بين اللسان والحنك يضيق معها النطق بها ، لأنّ ضيق المجرى عن القدر المعين المحدد لأصوات اللين يخرج الصوت عن منطقتها الى منطقة الأصوات الصامتة فتولد الياء غير المدية ^٣ ، أما ولادة الواو المدية فيكون بصعود أقصى اللسان الى آخر ما يصل إليه بصعوده نحو أقصى الحنك ، ليكون الفراغ من السعة مما لا يحدث الهواء أيّ نوع من الحفيف ، مع اكتمال استدارة الشفتين من نحو (يقول) أو (يصول) ، فيكون تجويف الفم أوسع حجماً في الياء ، فتكتسب الواو المدية فخامة في الصوت ، لا كما في الياء المدية التي كان نصيبها الترقيق والضعف نسبة الى الياء غير المدية.

وعندما يُزاد صعود أقصى اللسان نحو أقصى الحنك حتى يحدث الهواء المار من خلاله نوعاً من الحفيف ، ينتج عن ذلك الواو غير المدية في نحو (يوم) ، وعندما تقصر مدة النطق بالواو المدية وعدم إشباعها ستتحول الى ضمة عادية.

إنّ عملية إنتاج أصوات المدّ والحركات ، تختلف عن إنتاج الأصوات الصامتة لأنّ الأخيرة تعتمد على التقاء عضوين من أعضاء النطق ثم الاستناد إليها ليتولد بذلك الصوت المطلوب في المكان المحدد له ، وأي اختلاف في ذلك سيخرج الصوت من دائرة عمله الى دائرة عمل أخرى ليتولد صوت آخر ، فيما أنّ الأصوات المدية لا تعتمد على التقاء أعضاء النطق عند ولادتها ، بل تبقى الأصوات هائمة في جوف الفم ، أمّا الذي يحدّد هويتها فهو حجم الفجوة في الفم وشكلها والزمن المستغرق لولادتها ، لذا فعملية التحول من صوت الى آخر فيها يكون بسهولة ويسر لأنّه لا يعتمد على التقاء أعضاء النطق فيها بل يحدده شكل الفجوة ومساحتها والزمن المستغرق لها ، وهذا يسيرٌ على المتكلم ، لذا عدّت هذه الأصوات ضعيفة واهية متقلّبة ، ويمكن سلبها أو جزمها.

هذه الحالة تقودنا الى صوت الهمزة ، فهو الأخر ليس له على مدرج الفم واللسان أي موقع وإنّما هو نبرة في الصدر ، فعند ولادتها تغلق فتحة الحلقوم ، وعند انفتاحها سيخرج النّفس قوياً شديداً لينطلق منها صوت الهمزة في جوف الفم دون أن يعترضها أيّ عارضٍ فيه ، لذا الصوت عند دخوله جوف الفم سيكون مشابهاً لكثير من خواص أصوات المدّ ، فله القابلية أن يؤدي أيّ صوت من الأصوات المدية لذا تجده يتحول الى ياء مدية من نحو (بير) في (بئر) ، أو يتحول الى واو مدية من نحو (لوم) في (لؤم) أو يتحول الى ألف من نحو: (راس) في (رأس) في لغة الحجازيين ، ويسمون ذلك تخفيفاً ، وللسبب نفسه قد تلفظ

^١ - سر صناعة الاعراب / ابن جني : ٢١/١

^٢ - ظ: محاضرات في اللغة / د. عبد الرحمن أيوب : ٩٦

^٣ - ظ : الأصوات اللغوية / د. إبراهيم أنيس: ٣١

الهمزة بين بين^١ ، قال الخليل (رحمه الله تعالى): (وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفَّهَ عنها لانَّت ، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح)^٢.

لذا عملية اختلاس الأصوات المدية أو بعضها ظاهرة طبيعية فيها لا تخضع لقواعد النحو والصرف ، وإنما أكسبها خاصية أخرى لتكون أكثر مرونة في تشكيل المعنى ، وإن كان علماء الأصوات القدماء لا يعدون الاختلاس مما له أثر في المعنى.

وعوداً على بدء يمكن تصوير جوف الفم عند النطق بالأصوات المدية بمنفاخ محدد بقواعد مرنة من الجانبين ، وله فتحتان من الأمام والخلف ، تحدّد مساحتها بوساطة الشفتين من الأمام ، وأقصى اللسان والحنك من الخلف فعند النطق بالألف سينتسح هذا التجويف بأقصى ما يمكن وتتسع معه الفتحتان ليمرّ الهواء القادم من الرئتين عبر تجويف الفم الى الخارج دون عائق يحدّ من أدائها.

أما عند النطق بصوت الياء المدية. فإنّ الهواء من الرئتين سيواجه بفتحة الحلقوم وهي أقلّ اتساعاً ، عندها سينطلق الهواء من الرئتين الى جوف الفم بسرعة عالية وبكمية قليلة ، وعند خروجه من الفم ، سيجد أمامه فتحة الشفتين واسعة وهذا مما يقلّل ضغط الهواء في جوف الفم ، فيخرج صوت الياء ضعيفاً خائراً.

أما عند النطق بصوت الواو المدية ، فإنّ الهواء المنطلق من الرئتين سيعبر الى الفم عبر فتحة الحلقوم الواسعة – أوسع مما هي في نطق الياء المدية – فيمتلأ جوف الفم بالهواء ، غير أنّه عند خروجه منه سيلتقي بفتحة ضيقة قياساً إلى فتحة خروج الهواء في الياء المدية ، فسيرتفع ضغط الهواء عند هذه الفتحة مما يمنح صوت الواو فخامة وضخامة وقوة عند النطق بها قياساً الى صوت الياء^(٣).

هذا التغيّر في سعة فتحتي دخول الهواء من الرئتين وخروجه من فتحة الفم قد أكسب كلّ هذه الأصوات صفات صوتية مختلفة توزّعت بين السهولة والخفة المصحوبة بالضعف ، كما في صوت الألف ، حتى أصبحت الفتحة من أقرب الأصوات الى نفس الناطق بها لسهولتها ، وهي الصوت المحبّب عند العرب وخاصة سكان الحضر والمدن حتى كثرت بسببها المنصوبات في العربية.

و كان صوت الواو المدية من أقواها وأشدّها وأضخمها ، وهذا ممّا ناسب طباع البدو من حيث الشدة والقسوة ، فضلاً عن صداها القوي الذي ناسب بيئة البداوة ذات الصحاري الواسعة والمقفرة وقليلة السكان ، فهنا يحتاج البدوي الى إيصال صوته الى أبعد ما يمكن ، فكان صوت الواو المدية هو الأكثر تلاؤماً مع طباعهم وعاداتهم ، ولما كان في هذا المستوى من القوة والفخامة جعله العرب علامة لقوة من يقوم بالحدث ويؤديه أو ممّا يبتدأ به الكلام فكان علامة للمرفوعات التي تدلّ على القوة .

و كان صوت الياء المدية أضعف من الواو المدية ، فناسب هذا الضعف ، سلوك الضعفاء وهذا له علاقة بالنفس الإنسانية ، فتجد ذلك في كلام بعض القبائل من العرب فكثّر في كلامهم ابتداءً كثير من ألفاظهم بالكسرة وكان حقها الفتحة أو الضمة ، من نحو كبد ويعير وشعير وغيرها فضلاً عن انتشارها في المجرورات من الألفاظ .

^١ - ظ : الكتاب / سيبويه: ١٦٣/٢

^٢ - كتاب العين / الخليل: ٤٧/١

^٣ - ظ: الأصوات اللغوية / د. إبراهيم أنيس : ٣٦- ٣٨ ، ٤١ - ٤٢ ، المدخل إلى علم أصوات العربية / د. غانم قدوري الحمد : ١٤٢ -

بعد هذا العرض الموجز لقوة الأصوات المدية وضعفها يتبين لنا سبب الاختلاف في كثرة الاختلاسات وقتتها من صوت لآخر ، إذ نجد أن الاختلاس في صوت الياء المدية هو الأوسع انتشاراً في كلام العرب ، لضعفها وهزالها وقلة الهواء المتدفق الى جوف الفم من الرأتين ، أو ضعف خروجه منه ، الذي سهل التقاط هذا الصوت أو بعضه وكثُر فيه ، فيما يقلّ الاختلاس في صوت الواو المدية لقوتها وفخامتها ، لكثرة الهواء المتدفق الى جوف الفم عند النطق بها وقلة خروجه منه مما صعب التقاطه واختلاسه من اللفظ قياساً الى صوت الياء ، لذلك قلّ الاختلاس فيه ، وهكذا بالنسبة لصوت الألف إذ كان بين الواو والياء في كمية الاختلاس في الألفاظ لتوازن دخول الهواء من الرأتين الى جوف الفم وخروجه منه ، فأصبح هذا الصوت في حالة مثالية بالنسبة للصوتين الياء والواو المديتين .

والآن سبب ما وقع من اختلاسات في الأصوات المدية ، والدلالة الصوتية لهذا الاختلاس لقسم من آيات القرآن الكريم .

الاختلاس في الياء المدية والكسرة :-

ذكرت سابقاً أن الاختلاس في صوت الياء المدية هو الغالب على باقي الأصوات المدية الأخرى (الواو والألف) ، لذا سأحلل بعض الآيات التي ورد فيها اختلاس طلباً للاختصار .

- ١- قوله تعالى ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ، يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^١ . جاء فيه لفظ (يأت) وقد اختلس فيه الياء وأسْتعْيِض عنه بالكسرة ، وقد أثبتتها وصلأ المدنيان وأبو عمرو والكسائي ، وأثبتها ابن كثير في الحاليين ، وحذفها الباقر في الحاليين تخفيفاً^٢ ، وذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : (وقرئ " يوم يأت " بغير ياء . ونحو قولهم : لا أدري ، حكاة الخليل وسيبويه ، وحذف الياء والاجتزاء بالكسرة كثير في لغة هذيل)^٣ ، ويزعمون أن وقوع الحذف فيها لكثرة الاستعمال^٤ . ونظرة في الجو العام للآية المباركة نلاحظ وجود حالة من الانتظار لحلول الأجل المكتوب ، وأن اقتران الأجل بحرف الجر (اللام) هو الأليق في المقام من استعمال (إلى) الدالة على انتهاء الغاية ، لأن انتهاء الغاية معلوم ومحدد المعالم ، في حين أن في الانتظار نشعر بخفاء اليوم المعلوم ، لذا كان استعمال (اللام) الدالة على الالتصاق هو الأفضل لتدلّ على دوام الترقّب وملاحظته لحظة بلحظة . وهذا الاستعمال القرآني للفعل (يأتي) بدلالة التمهّل يكاد يكون ملازماً له ، من نحو قوله سبحانه ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾^٥ ، وقوله سبحانه ﴿آتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^٦ ، ولو أراد السرعة في المجيء لأتى بالفعل (جاء) الدال على السرعة والمفاجأة ، كقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^٧ ، وقوله تعالى ﴿وَجَاءَ مِنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^٨ .

^١ - سورة هود / الآيات ١٠٤ - ١٠٥

^٢ - النشر في القراءات العشر / ابن الجزري : ٢٢٠/٢

^٣ - الكشاف / الزمخشري : ٢ / ٤٠٤ ، ظ : مجمع البيان / الطبرسي : م ٣ / ١٩٢

^٤ - ظ : مجمع البيان / الطبرسي : م ٣ / ١٩٢

^٥ - سورة التوبة / الآية ٢٤

^٦ - سورة النحل / الآية ١

^٧ - سورة الأعراف / الآية ٣٤

^٨ - سورة يس / الآية ٢٠

ومما عزز هذا الترقب المشحون بالسكينة أن الله تعالى وصفه بأن الكلام فيه ممنوع إلا بإذنه فقال : **﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسًا إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾**^١ ، وقال أيضا : **﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ إِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾**^٢ ، وبصوتٍ خاشعٍ متذلِّلٍ هيبَةً لعظمته وجلاله ، قال سبحانه **﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾**^٣ .

هذا الجو الروحاني في يوم القيامة قد أضفى بظلاله كذلك على دلالة الآية المباركة **﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمْ نَفْسًا إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾** ، فجد أن ألفاظها قد اختلفت مع الجو العام لتعبيرٍ خيرٍ تعبيرٍ عن مضمون الآية المباركة ، وذلك (أنّ الكلام متى اختلفت ألفاظه ومبانيه وتناسبت مقاصده ومعانيه ، وقع من الفصاحة موقعه ، وسكن من البلاغة موضعه ، فاستهشَّ الأنفس وأنقَّ الأسماع ، ونشط الأذهان ، واستخفت الطباع)^٤ ، لذا فاختلاس صوت الياء في (يأت) كان أنق في السمع من سماع (يأتي) ، وذلك أن صوت (التاء) مهموس شديد^٥ ، وهاتان الصفتان تتناسبان مع حال الهمس ولو اتصل به صوت (الياء) المتّصف بالجهر والتوسط في الشدّة^٦ لظهر صوتٌ جديدٌ لا يتناسب مع صوت الهمس ولظهر الضجيج بفعل صفة الجهر في صوت (الياء) ، وهذا غير مناسب للجو العام في الآية الذي يستوجب السكينة والهدوء ، فضلاً عن عدم ائتلاف اللفظ مع المبنى ، وبالنتيجة لا يتناسب المقصد مع المعنى المطلوب ، فضلاً عن ذلك أنّ المقطع الأخير في (يأت) جاء قصيراً (صامت + حركة) ، في حين أنّ المقطع الأخير في (يأتي) جاء طويلاً (صحيح + حركة طويلة) ، والأخير يستغرق وقتاً أكبر من السابق ، ثم أنّ ديمومة الهمس في الآية سوف تتحقق مع المقطع القصير لأنّه يكون أقلّ وضوح في السمع من المقطع الطويل^٧ .

إنّ صوت (الياء) المجهور عند نشأته يهتزّ معه الوتران الصوتيان ، و يصاحبه انقباض فتحة المزمار الذي يقرب ما بين الوترين الصوتيين فتضيق بذلك فتحة المزمار غير أنّها تسمح بتسرّب النفس قليلاً من خلالها ، فيندفع الهواء مُحدثاً اهتزازاً منتظماً^٨ .

هذه العملية تُحدث ضجةً خلافاً لما يرشحه المشهد الأخرى المفعم بالهدوء والسكينة وخشوع الأصوات وهمسها ، لأن الضجيج يعمل على تهشيم حاجز السكون ، وهذا مما لا يتفق مع مراد الآية ومضمونها .

فضلاً عن ذلك أنّ الانتقال من الهمس في التاء الى الجهر في الياء يُضعف همس التاء في خضم ضجيج الياء ، لذا اختلست الياء واستعويض عنها بالكسرة ، لأجل إظهار الهمس وجعله غير متداخل مع غيره حتى لا يكون هذا التداخل سبباً لإضعافه وذوبانه في الأصوات التي تأتي بعده ، فحقّق اختلاس صوت الياء في (تأت) معادلاً صوتياً ليضمن توهج الدلالة ووضوحها ، كما لو بقي صوت الياء المديّة من دون اختلاس.

٢- قوله تعالى : **﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾** ، ثمّ نَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ^٩ ، جاء فيه لفظة (ننج) وقد اختلس فيه الياء وبقيت منه الكسرة وقرأ يعقوب بتخفيف الياء^{١٠} أي اختلاسها ، وكذلك حفص

١- سورة هود / الآية ١٠٥

٢- سورة النبأ / الآية ٣٨

٣- سورة هود / الآية ١٠٨

٤- أنوار الربيع / ابن معصوم المدني : ٢٣٥ / ٦

٥- ظ: الأصوات اللغوية / د. إبراهيم أنيس : ٥٦ ، المدخل الى علم أصوات العربية / د. غانم الحمد : ١٩٢

٦- ظ: المدخل الى علم أصوات العربية / د. غانم الحمد. ١٩٢

٧- ظ: الأصوات اللغوية / د. إبراهيم أنيس : ١٣١ - ١٣٢

٨- ظ: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث / د. علي زوين : ٧٠

٩- سورة يونس / الآية ١٠٣

١٠- ظ: النشر في القراءات العشر / ابن الجزري : ٢ / ١٩٤

والكسائي^١ ، في حين ورد الفعل نفسه وقد ثبتت الياء في قوله سبحانه : ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢ وكلا الفعلين بصيغة واحدة ومصدرهما الإنجاء .

إنّ مناخ الآية في سورة يونس ، نراه مشحوناً بالانتظار والترقب ، وهذا يستدعي وجود تأخر ومهلة ، إذ دلّ عليه قوله سبحانه ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾^٣ ، وكذلك العطف بالأداة (ثمّ) الدالة على التراخي^٤ ، وتضامناً مع هذا البطء جاء الفعل (نَجَّى) وذلك من خلال تكرار صوتي النون والجيم فيه ، فصوت (النون) يُوصف بأنه من الأصوات التي بين الشدّة والرخاوة ، وعندما يمرّ الهواء بمجره عند النطق بها لا يُلاقى انحباساً أو احتكاكاً ، لأنّ الهواء يجد له مسرباً الى الخارج من دون أن يحدث له حفيفاً ، أي يمر بانسيابية هادئة ، ثم أنّ تكرار هذين الصوتين يُشعر أنّ المدة المستغرقة ستكون أكثر ممّا لو كان صوتاً واحداً ، وعندما لحق صوت (الجيم) وهو مكرر أيضاً ، ويمتاز بأنه صوت مركب ، فعند القراء لا يصاحبه حين النطق به انفصال مفاجئ ، بل الذي يحدث أنّ انفصال العضوين عند خروج الهواء يكون بطيئاً ، فهو مرحلة ما بين الانسداد المطلق والانفتاح المطلق ، فيحتكّ الهواء بالعضوين احتكاكاً شبيهاً بالأصوات الرخوة ، فهو يجمع بين الشدة والرخاوة^٥ من بين كلّ الأصوات الأخرى عند المحدثين .

هذه الصفات لصوتيّ النون والجيم المكررين تُوجب نوعاً من التراخي والبُطْي ، وهذا مما ناسب الجو العام لهذا المقطع من الآية المباركة في سورة يونس ، لذا نرى أنّ العطف فيها جاء بالأداة (ثمّ) التي من وظائفها التراخي والتمهّل ، لتتوافق جميعاً مع بعضها وتتوافق في ارتباط رائع بينها لتُنشئ هذا البناء الجميل المتكافئ.

وعندما تنتقل الآية المباركة الى محطة أخرى نجد أنّ الخطاب القرآني قد انتقل الى ما يناسبها ، ففي الأخير منها جاء قوله سبحانه ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٦ جاء الفعل (نُجِّ) بالكسر ، فهنا انتقاله من حالة التراخي الى التسارع لأن عملية انجاء المؤمنين من الله تعالى لا تستوجب التأخير فضلاً عن ذلك وجود المصدر (حقاً) الدال على السرعة والاستجابة المباشرة ، لذا جاء فعل الانجاء مختلساً في صوت الياء فضلاً عن حذف النون وقصرها ، ممّا قلّل الزمن المستغرق في أداء فعل الانجاء

ولمّا كان المقام مقام إعطاء الحقوق للمؤمنين من قِبَل الله تعالى ، فأنّ عطاء الله سريع ، لذا اقتضت الحالة الصوتية في هذا المقطع السرعة ، فأخترل صوت (الجيم) الثانية واختلس صوت الياء ، وهذا ممّا وقرّ مدة من زمنٍ لأجل مناسبة الحالة الصوتية فيها مع حال الاعطاء ، فجاء قوله سبحانه ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مناسباً دلالياً وصوتياً في هذا النسيج اللغوي الرائع .

أما قوله سبحانه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾^٧ ، جاء فيه الفعل (نُجِّ) غير مختلس في يائه ، خلافاً لما جاء في سورة يونس ، ولعلّ ذلك يعود الى طبيعة الدعاء وعلاقة المؤمن برّبّه عند دعائه ، إذ إنّ المؤمن يستغرق في دعائه قصد إدامة اللقاء بالله تعالى ، فضلاً عن حال القدسية

^١ - ظ : العنوان في القراءات السبع / أبو طاهر المقرئ : ١٠٦ ، البديع / ابن خالويه : ١٣٧

^٢ - سورة الأنبياء / الأيتان ٨٧ - ٨٨

^٣ - سورة الأعراف / الآية ٧١

^٤ - ظ: حروف المعاني / الزجاجي : ١٦ ، معاني الحروف / الرماني : ١٦ ، مغني اللبيب / ابن هشام : ١/ ١٥٨

^٥ - ظ : الاصوات اللغوية / د. إبراهيم أنيس : ٢٥ ، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/ د. علي زوين : ٦٨

^٦ - ظ : منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/ د. علي زوين : ٦٨ - ٦٩

^٧ - سورة يونس / الآية : ١٠٣

^٨ - سورة الأنبياء / الآية ٨٨

والخشوع الذي تفرضه ظروف دعاء العبد لربه في ظلمات البحر حين ألقى في بطن الحوت فهذا التوجّه الخالص لوجه الله تعالى ، والخلو بالحضرة الإلهية ، تستوجب أن يكون اللقاء أكثر دواماً وأطول زمناً كي يقتضي نوعاً من الإجابة ، لأنّ هذه التهيئة الروحية تستوجب مهلة في اللقاء ، لذا فقد اقترنت الإجابة بالدعاء ، أي أنّهما متلازمان لذا جاء العطف بالواو «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَجَبْنَا» فضلاً عن التضعيف في صوت الجيم الذي طال معه الزمن .

فضلاً عن ذلك أنّ المهلة والتأخير نجدهما يفرضان نوعاً من الإيقاع الموسيقي المناسب له ، في تكرار صوت (الجيم) في الأفعال : (استجبنا ، نجينا ، نجي) وهذا التكرار يستدعي التمهّل لأنّ صوت (الجيم) – كما علمنا – لا يصاحبه حين النطق به انفصال مفاجئ ، بل أنّ الذي يحدث هو انفصال العضوين لأجل خروج الهواء يكون بطيئاً ، لذا فأثّه يستغرق زمناً أطول ، وهذا الأمر يتلاءم مع حال الدعاء وارتباط العبد بربه واستغراقه مع الله تعالى .

هذا النسيج في تركيب الآية المباركة قد ناسب بين الزمن الطويل المستغرق في الدعاء وبين الزمن المستغرق لصوت الجيم ، أي يناسب الإيقاع الداخلي في الآية مع هذه الأصوات المتكررة ، فضلاً عن وجود صوت الياء ، في لفظة (ننجي) هو الآخر دليل على زيادة الاستغراق في الزمن المخصص لها ، وذلك أنّ صوت (الياء) من الأصوات المتوسطة الشدة ، فحين يمر الهواء بمجره عند النطق بها لا يُلاقى انحباساً ، لأنّ مجراه خالٍ من المعوقات ، فيكون زمن النطق لللفظة (ننجي) أطول ممّا في لفظة (ننج) – بكسر الجيم – لأن مقتضى السياق العام للآية يقتضي الإطالة ، لذا زيد حرف (الياء) فيها خلافاً لما سبق في (ننج) الذي اختلس منها لملاءمته مقتضى الحال فيها .

٣- قوله تعالى «قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا»^١ جاء في الآية المباركة الفعل (نبغ) وقد اختلس فيه الياء ، وقد قرأ نافع وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر بإثبات الياء في الوصل^٢ ، وقرأ ابن كثير ويعقوب بإثباتها في الوصل والوقف^٣.

ولرسم صورة الحال الذي عليه النبي موسى (عليه السلام) وقتاه ، حين غادرا الصخرة بعد أنّ نسيا حوتها ، إذ أخبره فتاه بقصة الحوت الذي اتخذ طريقه في البحر سرباً ، عندها علم موسى (عليه السلام) بأنّ تلك هي العلامة التي توصله الى مَنْ هو أعلمُ منه ، ففوجئ بذلك لأنّه قد أصاب الهدف على غير ما كان متوقفاً فقال «هَذَا مَا كُنَّا نَبِغُ» فأمره بالرجوع مسرعاً الى الصخرة بعد أن انصرفا وسارا بقية يومهما وليلتها^٤ .

هذا التسارع يُراد منه بلوغ الهدف بأسرع وقتٍ ، لذا اختار النصُّ من الألفاظ والحركات التي تعضد السرعة ، فابتدأ باختلاس صوت (الياء) فأصبحت (نبغ) وكان حقها الإشباع (نبغي) لعدم وجود مسوِّغٍ إعرابي لذلك والأخيرة مؤلفة من مقطعين ، الأول طويل مغلّق (صامت + حركة قصيرة + صامت) والثاني طويل مفتوح (صامت + حركة طويلة) وحدث أنّ قصرت الحركة الطويلة إلى قصيرة فصارت

^١ - سورة الكهف / الآية ٦٤

^٢ - ظ : جامع البيان في القراءات السبع / الداني : ٢ / ٤٢٤ ، البديع / ابن خالويه : ١٧٠ ، التيسير في القراءات السبع / الداني : ١٤٧ ، النشر في القراءات العشر / ابن الجزري : ٢ / ٢٣٧

^٣ - ظ : البديع / ابن خالويه : ١٧٠ ، النشر في القراءات العشر / ابن الجزري : ٢ / ٢٣٧

^٤ - ظ : مجمع البيان / الطبرسي : م ٣ / ٤٨١

مقطعاً قصيراً (صامت + حركة قصيرة) لأجل تقليل الزمن المستغرق في النص لا كما في قوله تعالى ﴿ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾^١ بإشباع الياء .

فضلاً عن ذلك أنّ الانتقال من الياء الى صوت الفاء في (فارتدًا) يكون أصعب مما لو انتقل اللفظ من الكسرة إليه ، إذ إنّ الياء صوت متوسط الشدة ، ومجهور^٢ ، في حين كان الفاء صوتاً رخواً مهموساً^٣ ، والكسرة أخفّ في شدتها وجهرها من الياء ، وهذا مما يُناسب الرخاوة والهمس في الفاء ، وأفضل مما لو انتقل المتكلم من الياء إليه ، لأنّ الانتقال من الجهر المحض و الشدة المتوسطة الى الهمس المحض والرخاوة أصعب من الانتقال من الأقل شدةً وجهرًا في الكسرة إليه .

هذا الانتقال السهل من الكسرة الى الفاء مقترن بالسرعة التي تُناسب حال القصة وطلب الرجوع مسرحين الى الصخرة .

ومما يُعضد هذا الطلب أيضا أن اختيرت لفظة (ارتدًا) ولم يقل (رجعا) وذلك أنّ أغلب أصوات (ارتدًا) شديدة ، في حين أنّ أصوات (رجعا) كانت بين التوسط في الشدة والرخاوة ، وأنّ الأصوات الشديدة تكون أسهل في أدائها وأقلّ زمنًا في نطقها من الأصوات في (رجعا) ، وهذا ممّا ناسب حال الإسراع في الرجوع الى مكان التقاء النبي موسى (عليه السلام) بالخضر (عليه السلام) .

ومما يدلّ على ضرورة الإسراع في الرجوع ، مجي لفظة (أثارهما) ، التي أراد الله تعالى من خلالها أن يوحي الى المتلقي الخشية من مسح آثار مسيرهما عند المجئ أول مرة إلى الصخرة لأنّ الرياح تذري عليها من الرمال فتُمسح الآثار ، فكان الإسراع في المجئ قصد رؤية الآثار لتدلّهم على الطريق لأجل الوصول الى المكان المطلوب ، فرجعا يقتصان الأثر حين قال تعالى ﴿فَارْتَدَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ .

إذن ما جاء من اختلاس صوت الياء في (نبغ) ومجئ الألفاظ التي بعدها بالصفات المذكورة إنّما جاءت لسبب دلاليّ هو رسم صورة حال النبي موسى (عليه السلام) ، وفتاه عندما فوجئ بالعلامة الدالة على الوصول الى الهدف ، ثم الرجوع الى مكان اللقاء بعد فراقه ، وسارا بقية يومهما وليلتهما ، فكان الإسراع بالرجوع الى الهدف هو الصورة التي رسمت حالهما ، وليوضّح مقدار اللهفة في لقاء الذي كان السفر لأجله ، ولو جاءت (نبغ) مشبعة الياء ، وأبدلت لفظة (ارتدًا) بالمفردة (رجعا) لما رُسم لنا مشهد معيّر عن مقدار التأهف للقاء ، ولظهر هناك اختلاف في الدلالة ولرسم صورة أخرى للحال الذي هما فيه .

فهكذا جاءت الآية المباركة وما بعدها لتدلّ على مرادها من خلال أصوات حروفها الموحية بالدلالة ، والمعبرة عن تسارع الحدث الفني وهو في ذروة التعبير الفني الموحى بالدلالة في أقصى مضامينها .

٤- قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾^٤ جاء فيه الفعل (يسر) مختلس الياء ، وقد أثبتتها وصلًا والمدنيان وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي، وحذفها في الوقف ، فيما أثبتتها يعقوب وابن كثير في الوقف والوصل^٥ ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة الزيات بحذف الياء فيهما^٦ ، وعند الفراء (ت ٢٠٧ هـ) الحذف أحبّ إليه

^١ - سورة يوسف / الآية ٦٥

^٢ - ظ : المدخل الى علم أصوات العربية / د. غانم الحمد : ١٩٢

^٣ - ظ . م . ن : ١٩٢

^٤ - سورة الفجر / الآية ٤

^٥ - ظ : النشر في القراءات العشر / ابن الجزري : ٢ / ٢٩٩ ، العنوان في القراءات السبع / أبو ظاهر المقرئ : ٢٠٩ ، البديع / ابن خالويه : ٣٠٠ ، مجمع البيان / الطبرسي : م ٥ / ٤٨٢ ، الكشاف / الزمخشري : ٤ / ٧٥٠ ، البحر المحيط / أبو حيان : ٨ / ٦٥٧

^٦ - ظ : السبعة في القراءات / ابن مجاهد : ٦٨٣

لمشاكلتها رؤوس الآيات ، ولأنّ العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها^١ ، واستشهد على ذلك بقول بعضهم :

-٥-

كفّك كفّ لا تُليقُ درأً جوداً وأخرى تُعطِ بالسيفِ الدما

وقال آخر :

ليس تخفى يسارتي قدرَ يومٍ ولقد تخفِ شيمتي إيساري

وموضع الشاهد فيه مجئ الفعلين (تُعطِ ، تخفِ) مختلسي الياء من دون مسوغٍ إعرابي .

كذلك ذهب أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) إلى أنّ العرب تحذف هذه الياء في مثل هذه وهي في موضع الرفع ، ومثّل لذلك قولهم " لا أدر " ^٢ إذن اجتمع في اختلاس حرف المدّ في (يسر) عوامل عدّة من دون المسوغ النحوي ، فالعامل الأول كونها لغة عند العرب إذ المشهور عنهم اختلاس صوت المد ، كما مثّل لذلك الفراء وأبو عبيدة ، والعامل الآخر كونها فاصلة قرآنية .

فضلاً عن ذلك نجد أنّ الآيات الخمس الأولى من سورة الفجر قد فُتحت بمقاطع صوتية إذ انتهت كلُّ آية منها بمقطعين صوتيين متشابهين ، الأول فيها مقطع صوتي طويل مغلق (صامت + حركة قصيرة + صامت) ، فيما كان المقطع الصوتي الثاني وهو الأخير فيها مقطعاً صوتياً قصيراً (صامت + حركة قصيرة) ، بهذا التشابه الصوتي في أواخر الآيات ورؤوسها قد عمل توازناً صوتياً في مجمل الآيات الخمسة الأولى من السورة ، فضلاً عن ذلك أنّها انتهت بصوت الراء الذي يمتاز بكونه من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، وأتته مجهور ، ممّا ناسب صوت الكسرة في آخره ، ولو كان ياءً لأصبح النطق بالفاصلة (يسر) أكثر ضجيجاً ، وذلك أنّ الراء تتكرر بسبب طُرق اللسان للحنك عند النطق بها^٣ ، وهذا التكرار يُستحسن معه المدّ القصير وصلماً ووقفاً لذا استحسنته بعض القبائل العربية مع الراء .

أمّا النطق به مع الياء فيُشعر بتكرار الياء مع تكرار صوت الراء ، فيُفقد التوازن الصوتي مع ما سبق هذا اللفظة من الفواصل السابقة في سورة الفجر .

فضلاً عن ذلك أنّ في فاصلة (يسر) يحدث انتقال صوتية في الآية التي تليها لقوله تعالى ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾^٤ ، إذ إنّ ابتداء هذه الآية المباركة بصوت الهاء ، وهو من الأصوات الحلقية ، وعند النطق بالياء المدية قبلها مباشرة في (يسري) سيتسع مجرى الهواء كثيراً في الحلق أكبر ممّا في النطق بالهاء ، ولأجل التخفيف من ذلك اختلست الياء وبقي منها الكسرة (يسر) لتكون فتحة الهواء عند الحلق متوازنة حين النطق بهما ، وهذا مما يعمل تناسباً صوتياً مع صوت الهاء وتوازناً في النطق ، ومؤثراً في مجمل دلالة الآية المباركة .

^١ - ظ : معاني القرآن / الفراء : ٣ / ٢٦٠

^٢ - ظ : مجاز القرآن / أبو عبيدة : ٢ / ٢٩٧

^٣ - ظ : الأصوات اللغوية / د . إبراهيم أنيس : ٦٠

^٤ - سورة الفجر / الآية ٥

هذا التوازن الصوتي خلق إيقاعاً في هذا النص وهو إيقاع في نطاق التوازن لا في نطاق الوزن كما في الشعر العربي ، وله جذبية تمنح أذنك من المتعة ونفسك من الإرتياح ما لا تجده في بعض الشعر^١ ،

لهذا كلّه وربما لغيره كان هذا الاختلاس موضع استحسان في الآية الكريمة ، وقد عمل الإيقاع المتوازن نوعاً من التوازن الذي أثرى حالة القسم في السورة ، وقد صاحبه هذا الدفق الموسيقي المتناغم الذي منح النصّ فخامةً وانسجاماً متلائمين مع هيبة في جلال الحضرة الإلهية .

٦- قوله تعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾^٢

جاء لفظ (الداع) وقد اختلس فيه صوت الياء في قراءة المصحف ، وقرأ أبو عمرو و ورش باثباتها في الفصل ، وأثبتها يعقوب والبزي وغيرهما في حالتي الوصل والوقف^٣ ، ووردت (الداعي) مختلصة الياء في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، من دون مسوّغٍ إعرابي ، كلّها تدلّ على السرعة أو الفعل والاستجابة له ، و وردت (الداعي) بالياء لا تدلّ على المواجهة وضرورة أداء الفعل على وجه السرعة.

ولعلّ ورود لفظة (الداع) مختلصة الياء لها ما يسوغها ، وذلك أنّ العرب لا تستسيغ كثرة الحركات في اللفظة ، لأنّه يسبب ثقلاً على اللسان فالحركات الثلاث وأصوات المد الطويلة كلّها تجتمع في فضاء الفم ، فإذا كثرت في لفظة معينة ستعيق أعضاء النطق في أداء عملها وتلقظ الكلمات ، لذا فالعرب بطبعهم الميال الى الخفة والسهولة في الكلام يعمل على حذف بعض هذه الحركات ليقلل من الجهد على اللسان وباقي أعضاء النطق أثناء الكلام ، فيقع الاختلاس في بعض الحركات ، فضلاً عن الاختلاس الواقع في (يدع) ، وربما تكون الحركة الأضعف لها السهم الأوفى في ذلك وخاصةً الصوائت .

ففي هذا المقطع من الآية المباركة ، يكون الانتقال من العين المكسورة في (الداع) الى الهمزة المكسورة في حرف الجر (إلى) لتكوّن ثلاثة مقاطع ، الأثنان الأولان منها قصيران (صامت + حركة قصيرة) ، والثالث فيها قصير مفتوح (صامت + حركة طويلة) ، وقد شُغلت كلّها بالحركات فضلاً عن وجود الهمزة التي تشترك معها عند النطق بها وخروجها من الصدر إلى فضاء الفم لتشترك مع هذه الحركات ببعض صفاتها ممّا يزيد من ثقل الكلام فيها .

وهذا الوصف لحال الحركات في فضاء الفم يجعل مقطع الآية متفقاً مع مجمل الدلالة التي يُريدها النصّ القرآني ، والمفعم بسرعة الحركة في الأمر بالتولّي عن الكافرين والاعراض عنهم بعد أن جاءهم ما فيه نهي ومزجر ، لكنهم لم ينتهوا.

بعد هذا ، وصّف تعالى حال الكافرين وما فيهم من الذلّ والهوان عندما يُبعثون من الأجداث فيهرعون سراعاً عندما يدعوهم داعي الله في يوم البعث للحساب ، وهذا النهوض المسرع من الأجداث يجب أن يقترن كذلك مع سرعة أداء الألفاظ المعبّرة عن ذلك ، غير أنّ كثرة الحركات تأخذ بزمن النطق الى أبعد ما يمكن ، مما لا يخلق حالةً من التوازن الصوتي بين أداء الفعل وأداء الأصوات ، فعمد النصّ الى اختلاس بعض الحركات لتتلاءم مع الفعل ، وبما أنّ الياء تُعدّ كسرتين في (الداعي) وما بعدها همزة مكسورة في (إلى) ، وهذا ممّا أطال زمن النطق فاختلف التوازن الصوتي ، لذا عمد النصّ الى اختلاس بعضها فاختلس من الياء إحدى حركتيها ، ومسهلاً ومقتصراً الزمن في نطق هذا المقطع من الآية المباركة لأجل مناسبة المعنى المفضي الى السرعة في أداء الفعل .

^١ - ظ : البيان في روائع القرآن / د . تمام حسان : ١ / ١٨٦ - ١٨٧

^٢ - سورة القمر / الآية ٦

^٣ - ظ : النشر في القراءات العشر / الجزري : ٢ / ٢٨٤ ، العنوان في القراءات السبع / المقرئ : ١٨٣

ومن اختلاس الياء أو الكسرة أيضاً ، ما ورد في ﴿وَدَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبِّ﴾ و ﴿فَوَارِي سِوَاهُ أَخِي﴾ بسكون الياء في (بَقِيَ وَأَوَارِي) وقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^١ وغيرها^٢ .
الاختلاس في الواو المدية والضمة:

يكاد يكون الاختلاس في صوت الواو المدية والضمة أقل ممّا في الياء المدية والكسرة ، ولعلّ السبب يعود الى أنّهما أثقل من الياء والكسرة ، و الأخيرتان أخفت على اللسان ، لذا كثر الاختلاس في الأصوات الخفيفة وقلّ في الثقيلة ، وهذه بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها الصوتان مختلسان .

١- قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمِ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾^٣ .
جاء فيه الفعل (يمحُ) وقد اختلس فيه الواو في قراءة المصحف ، وهو في موضع رفع حملاً على اللفظ ، وقرأ ابن كثير بثبات الواو في حال الوقف^٤ ، وعدّ ابن جني كتابة الفعل من دون واو دليلاً على حذفها عند الوقوف على اللفظ^٥ .

ولم تُحذف الواو عطفاً على الفعل (يختم) المجزوم بالشرط ، بل جاء فيه الواو استئنافاً كلاماً وبداية قول ، والدليل على ذلك مجيء الفعل (يحقُّ) وهو معطوف على (يمحُ) في محل رفع^٦ ، و ذهب السيوطي (ت ٩١١ هـ) الى خلاف ذلك لقوله : (لأنّ الاثبات الأصل ، وإنّما حُذفت في الثانية لأنّ قلبه مجزم ، وإن لم يكن معطوفاً عليه ، لأنّه قد عطف عليه (ويحقُّ) وليس مقيداً بشرط ، ولكن قد يجيء بصورة العطف على المجزوم ، وهذا أقرب من عطف الجوار في النحو)^٧ ، وهذا بعيد .

وقد جاء الفعل (يمحو) مشبع الواو لقوله سبحانه : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^٨ على أصله ، لسبب دلاليّ يتعلّق بأصل المحو في الآيتين ، وإن كان السبب الصوتي حاضراً في سورة الشورى ، ولم يعمل في سورة الرعد ، استجابة للدلالة التي تطلبها كل آية .

وعند تحليل كلا الآيتين صوتياً نجد أثر الفعل الصوتي في الدلالة واضحاً ، وقد قيل إنّ الواو في سورة الشورى حُذفت لالتقاء الساكنين ، قصد الخفة والسهولة في النطق ، غير أنّ الأمر نفسه حاصل في سورة الرعد ولم تُحذف الواو فيها ، لذا يمكن القول إنّ الحذف لالتقاء الساكنين لم يكن دليلاً على الخفة والسهولة في النطق دائماً ، بل الأمر يتعلّق بالدلالة أيضاً .

ففي سورة الشورى نجد السرعة في أداء فعل محو الباطل لأنّ الله تعالى يمحّو كلّ أنواعه قال سبحانه ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (١٠) ، ولكون الربا باطل محقه الله تعالى ، والمحقّ : النقصان وذهاب البركة ، أو هو النقص والمحو والإبطال (١١) ففي قوله سبحانه ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ يعني محقه وإزالته من أصله ، وعدم إبقاء شيء منه ، وهذا مما يقتضي الحسم والسرعة في الإلغاء ، فناسب لذلك اختلاس الواو في ﴿يَمْحُ﴾ ، ونقل السيوطي : (وأما "يمحُ الله الباطل" فلا إشارة الى سرعة ذهابه واضمحلاله) (١٢) ، في حين لم يكن المطلوب في سورة الرعد هذه السرعة وإنّما أراد تعالى أن يُخبر عن

^١ - سورة الشعراء / الآية ١٢

^٢ - للمزيد من ذلك راجع : البرهان في علوم القرآن / الزركشي : ١ / ٢٧٨ - ٢١٨

^٣ - سورة الشورى / الآية ٢٤

^٤ - ظ : املاء ما من به الرحمن / العكبري : ٢ / ١١٣٢

^٥ - الاقتناع في القراءات السبع / ابن جعفر الأنصاري : ١ / ٥٢٢

^٦ - ظ : الخصائص / ابن جني : ٣ / ١٣٦

^٧ - ظ : معاني القرآن / الفراء : ٣ / ٢٣ ، مجمع البيان / الطبرسي : م ٥ / ٢٩ ، التفسير الكبير / الفخر الرازي : ٤ / ١١٤

^٨ - الاتقان / السيوطي : ١ / ٢٧٦

^٩ - سورة الرعد / الآية ٣٩

^{١٠} - سورة البقرة / الآية ٢٧٦

^{١١} - ظ : لسان العرب / ابن منظور : ١٣ / ٣٨ - محق

^{١٢} - الاتقان / السيوطي : ٢ / ٣٣٢

قدرته في محو ما يشاء وإثبات ما يشاء ، وهنا لا يوجد مسوغ للسرعة ، لذا نجد في سورة الشورى كثرة المقاطع الساكنة أي التي تنتهي بالساكن ، وكما يأتي : (يَمْ ، حُلْ ، لا ، هُلْ ، با) ومقاطعها على التوالي (ص ح ص ، ص ح ص ، ص ح ح ، ص ح ص ، ص ح ح) فعدد المقاطع الساكنة ثلاثة ، في حين قلّ فيها عدد المقاطع المتحركة الى اثنين ، أما في سورة الرعد فعلى عكس ذلك فقد كثرت فيها المقاطع المتحركة أي التي تنتهي بالحركة ، وكما يأتي : (يَمْ ، حَوْل ، لا ، هُ ، ما) ومقاطعها على التوالي (ص ح ص ، ص ح ح ح ، ص ح ح ح) فعدد المقاطع المتحركة ثلاثة في حين كان عدد المقاطع المتحركة اثنين .

فكثرة المقاطع الساكنة تعني اختصار الزمن في النطق عمّا هو في المقاطع المتحركة ، والعربية تشتمل على كلا النوعين من المقاطع ، إلا أنها أكثر ميلاً بطبيعتها الى المقاطع المغلقة (١) ، فعند ارادة إنجاز فعل ما سرعان ما تميل الى طبيعتها في اختصار الحركات كما هو الآن في سورة الشورى ، وعندما يطرأ حادث ما لغلبة الدلالة فيه فسرعان ماتفرّ من المقاطع الساكنة وتؤثر المقاطع المتحركة فيها .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (٢) اختلس فيه صوت الواو المدية في (يدعُ) ، وهي قراءة المصحف ، ولم يؤثر في كتب القراءات ما يخالفه إلا ما ورد عن يعقوب بإثبات الواو في حال الوقف (٣) وقد ورد الفعل (يدعُ) مجرداً ومختلساً في هذه الآية وفي قوله سبحانه ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴾ (٤) التي مرّ ذكرها .

أورد العلماء أنّ اختلاس صوت الواو كان بسبب من التقاء الساكنين ° ، وهذه سنة العرب في التخفيف ، غير أنّ ذلك يُراد منه دلالة اضافية غير التخفيف ، تتعلق بالحدث الذي يرد فيه السياق ، والمبني على السرعة .

فالدعاء ورد بمعنى الرجاء أو العبادة بحسب ما جاء به الفعل ، لأنه طلب العبد من ربه ، إذ إنّ الدعاء كما ذكر الزجاج على ثلاثة أوجه : الأول : توحيد الله والثناء عليه كقولك : ربنا لك الحمد ، والثاني : مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : ربنا اغفر لنا ، والثالث : مسألة الحظ من الدنيا ، كقولك : اللهم ارزقنا مالاً وولداً ، وغيرها ، ولعلّ قوله سبحانه ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ هو من الضرب الثالث ، لأنه ليس دعاء توحيد ولا ثناء ، ولا هو طلب العفو والرحمة منه تعالى . وفي هذا الضرب تنتشعب طرائق الدعاء فيه لأجل الحصول على منافع الدنيا ولذاتها ، ويكون الإنسان فيها دائم الطلب بما يحقّق له منافع المادية والمعنوية الخاصة ، ويتشبّه بكل الوسائل للوصول الى ما يرغب فيه .

لذا نجد أنّ هاجس تحقيق ما يريده ربما يعود عليه بالسوء ، لأنه اتخذ سبيل السرعة في استجابة طلباته مع قلة الصبر وعدم التثبت ، ونجد هذا واضحاً في قوله سبحانه ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ إذ كثّر فيه الحذف في الحركات والكلمات ، مع ذكر قرائن لفظية تدلّ على ذلك لكي يكون السياق مناسباً مع الدلالة المطلوبة .

١- ظ : علم الأصوات اللغوية / د . مناف الموسوي : ١٢٣

٢- سورة الأسراء / الآية ١١ .

٣- ظ : معجم القراءات القرآنية / د . أحمد مختار عمر : ٣ / ١٣٠

٤- سورة القمر / الآية ٦

٥- ظ : معاني القرآن / الفراء : ٢ / ١١٧ ، إعراب القرآن / النحاس / ٥١٦

٦- ظ : لسان العرب / ابن منظور : ٤ / ٣٥٩ - دعا

فأول الحذف اختلاس الواو في (يدغ) ، وقد علته بعض العلماء لأجل الخفة والاختصار والسهولة في النطق ، والعربي ميال بطبعه الى الخفة في كلامه وعدم التقصير ، غير أن ذلك ورد في غير هذا الموضع ولم تحذف منه الواو للسبب نفسه كما في قوله سبحانه ﴿يَمْحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^١ لأن طلب السرعة والخفة ليس من دلالة الآية المباركة .

وذهب النحاة الى أن ("دعاهه" نُصِبَ على المصدر ، وفي الكلام حذف ، تقديره : ويدع الإنسان بالشر مثل دعائه بالخير ، ثم حُذِفَ الموصوف وهو : دعاء ، ثم حذفت الصفة المضافة وقام المضاف اليه مقامه)^٢ ، قصد الاختصار في الكلام لأجل سرعة الإجابة الى الطلب وكذلك ورد قوله سبحانه ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^٣ إذ قرن العجلة بطبع الإنسان ، ليتفق مع ما ذهبت اليه الآية المباركة من دلالة الاستعجال في إجابة طلب الإنسان من ربه حين دعائه .

فإذن اختلاس صوت الواو في (يدغ) لم يكن بدافع الخفة في النطق والأداء فقط ، بل أن جو الآية المباركة يوحي بالسرعة في أداء فعل الدعاء ، فكان اختلاس الواو من ضروريات السياق إذ إن القرآن الكريم قد أفاد من إمكان اللغة في حذف أحرف العلة وسخرها دلاليًا لتعبر عن مضمون الآية عندما يطلب السياق ذلك .

وقد جاء رديف هذه حالة اختلاس صوت الواو في (يدغ) في قوله سبحانه ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾^٤ ، إذ حُذِفَت الواو فيها لغرض الدعاء والاجابة المدعويين ، وقوله سبحانه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾^٥ ، للدلالة ذاتها في الفعل ولغرض اجابة الزبانية وقوة البطش^٦ ، ويدل على سرعة تنفيذ أمر الله تعالى ، قال : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^٧ .

وحصل الاختلاس أيضا في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^٨ وقوله سبحانه : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^٩ إذ ورد فيها اختلاس الضمة في ﴿يَرْضَهُ﴾ و﴿يَرَهُ﴾ .

الاختلاس في الألف والفتحة :-

يُعدُّ صوت الألف والفتحة من الأصوات المحببة عند العربي لخفتها ، حتى أصبحتا من علامات إعراب النصب في جملة من المنصوبات ، بقصد التخفيف والانسجام ويرى الدكتور عائد الحريزي (أنَّ النصب يُؤْتَى به ميلاً للتخفيف من ثقل الكلمة أو الجملة وانسجاماً مع الفتحة وقسم من الحروف ، أو مع الفتحة من كلمة والفتحة في كلمة أخرى ، أو في الكلمة نفسها)^{١٠} .

إنَّ سبب خفة الألف يعود إلى أنَّ الصوت (يجري به غفلاً من دون صنعة)^{١١} أو تكلف وكان متقدماً نحويين يسمون الفتحة الألف القصيرة^{١٢} وذلك أنَّها جزء منها ، وإذا مُطِلت ومُدَّت تولد منها صوت الألف لأجل زمن النطق لكل منها ، حتى كثر ورودها في كلام العرب ، فذهب بعض العلماء الى أنَّها أخفت من السكون^{١٣} ، وقد عارضه بعض العلماء ويرى الدكتور عائد الحريزي (أنَّ الموازنة بين الفتحة والسكون لا

١- سورة الرعد / الآية ٣٩

٢- مشكل إعراب القرآن / مكي بن أبي طالب القيسي : ٢٧٦ ، ظ : إعراب القرآن / النحاس : ٥١٦ ، إملاء ما منَّ به الرحمن / العكبري : ٨٩ / ٢

٣- سورة القمر / الآية ٦.

٤- سورة العلق / الآية ١٧ - ١٨

٥- ظ : البرهان / الزركشي / ١ / ٢٧٦ ، الاتقان / السيوطي : ٢ / ٣٣٢

٦- سورة القمر / الآية ٥٠

٧- سورة الزمر / الآية ٧

٨- سورة الزلزلة / الآيتان ٧ - ٨

٩- فلسفة المنصوبات : ٤١٠

١٠- سر صناعة الاعراب / ابن جني : ١ / ٢١

١١- ظ : م . ن : ١ / ٣٣

١٢- ظ : إحياء النحو / إبراهيم مصطفى : ٨١ - ٨٥

تصحّ ، لأنّ الفتحة حركة والسكون وقف وقطع للحركة أو لا شيء ، ولا تجوز الموازنة بين شيئين مختلفين أصلاً أو بين شيء ولا شيء^١ .

لقد قلّ اختلاس صوتي الألف والفتحة للأسباب التي ذكرت سابقاً ، عما هو في الضمة والكسرة ، والياء والواو المديتين ، إذ إنّ من دواعي الاختلاس الخفة والسهولة في نطق الألفاظ والكلمات ، فلما كانت الألف والفتحة تجري في النطق غفلاً ومن غير صنعة ، أو تكأف ، فلا مسوّغ لاختلاسها أو حذفها من مواضعها في الألفاظ.

بيد أنّ اختلاسها ورد في القرآن الكريم بسبب من كثرة استعمال بعض الكلمات التي ضمّت صوت الألف خاصة وفي مواضع خاصة أيضاً حتى أصبحت كالقاعدة في القرآن الكريم ، ومن هذه المواضع^٢ : - شهرة الاسم عما سواه ، من نحو لفظ القرآن ، إذ ورد محذوف الألف في قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^٣ ، وكذلك الكتاب إذ جاء مرادفاً للقرآن ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾^٤ ، وعندما لا يأتي مرادفاً للقرآن تُشيع فيه الفتحة لتكون الفأ ، وجاء ذلك في أربعة مواضع بأوصافٍ مخصصة من الكتاب الكلي^٥ في ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^٦ ، وفي ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾^٧ ، و﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾^٨ لأنه أطلق هذا وقيّد ذلك بالاضافة الى الاسم المضاف الى معنى في الوجود ، والأخصّ أظهر تنزيلاً ، وفي ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^٩ ، وهذا الكتاب جاء تابعاً للقرآن ، والقرآن جاء تابعاً للكتاب ، وأمّا مواضع الحذف التي بمعنى الاختلاس فادرجها بما يأتي :

١- تختلس الألف في (باسم) لاضافتها الى لفظ الجلالة ، وتثبت في حال اضافتها الى غير لفظ الجلالة من نحو : ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾^{١١} .

٢- تختلس كثيراً في اسماء الفاعلين من نحو : (قادر) أو (عالم) عندما تكون الألف في وسط الكلمة .
٣- تختلس في الاسماء الأعجمية مثل إبراهيم ، لأنها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي ، وأمّا حذفها في الأسماء العربية من نحو سليمان وصالح ومالك فلكثرة الاستعمال.
٤- اتفق العلماء على حذف الألف في جمع السلامة مذكراً كان كالعالمين والصابرين أو مؤنثاً كالمسلمات والمؤمنات ، فإن جاء بعد الألف همزة أو حرف مضعّف ثبت الألف نحو : السائلين والصائمين وغيرها.

٥- تسقط الألف الزائدة في " هاء " التنبيه في النداء ، في ثلاث مواضع ، هي قوله سبحانه وفي ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاجِرُ ﴾^{١٢} ، وفي قوله ﴿ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾^{١٣} ، وفي قوله ﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾^{١٤} ، وكذلك تُختلس عند مدّ الصوت في النداء مثل ﴿ يَا قَوْمِي ﴾ و﴿ يِعْبَادِي ﴾ للتوصل بين المرتبتين .

فهذه أهمّ مواضع اختلاس الألف في القرآن الكريم ولعلّ أكثرها كان لمقتضيات دلالية ومعنوية أو

١- فلسفة المنصوبات : ٧١

٢- ظ : البرهان في علوم القرآن / الزركشي : ١ / ٢٧٠ - ٢٧٥ ، الاتقان / السيوطي : ٢ / ٣٢٩ - ٣٣٠

٣- سورة الزخرف / الآية ٣

٤- سورة الزخرف / الآية ٤

٥- ظ : الاتقان / السيوطي : ٢ / ٢٧١

٦- سورة الرعد / الآية ٣٨

٧- سورة الحجر / الآية ٤

٨- سورة الكهف / الآية ٢٧

٩- سورة العنكبوت / الآية ٤٥

١٠- سورة النمل / الآية ١

١١- سورة العلق / الآية ١

١٢- سورة الزخرف / الآية ٤٩

١٣- سورة الرحمن / الآية ٣١

١٤- سورة النور / الآية ٣١

للتفريق بين المترادفات بحسب استعمالها في النص القرآني الكريم وأما كونها لأجل الخفة فقليل

الخاتمة

توصل البحث إلى نتائج عدّة ندرجها بما يأتي :-

- ١- إنّ اختلاس الأصوات ظاهرة صوتية تعاهدتها العرب في كلامهم والقراء في القراءات القرآنية ، قصد الخفة والسهولة في الكلام ، حتى أصبحت لغة عند بعض القبائل العربية .
- ٢- لم تُعدّ مسألة النقاء الساكنين مسألة صوتية فقط ، وإنما هي ظاهرة استعملها القرآن الكريم لغرض دلالي أيضا .
- ٣- لم تُعدّ قوة الصوت وشدّته المعيار في اختلاس الأصوات ، فتجد أن أكثر الأصوات اختلاسا هي الياء المدية والمكسورة ، في حين أنّ صوت الألف والفتحة أضعف منها قوة وشدّة غير أنّها في لغة العرب أقلّ منها اختلاسا ، فظهر أنّ للذوق العربي أثرا في اختلاس الأصوات .
- ٤- أطلق علماء القراءات القرآنية وغيرهم مصطلحات عدّة تدلّ على الاختلاس من نحو القصر والتسهيل والجزم وغيرها ، ولعلّهم أفادوا منها بما يدلّ على الاختلاس من كونه قطعاً للحركة أو حذفها .
- ٥- إن الاختلاس في بعض الألفاظ قد حقّق توافقاً بين اللفظ والمعنى ، وتوازناً في مجمل السياق الذي يرد فيه وخاصة المواطن التي تستوجب فيها السرعة بقصد الانسجام مع سياق النص القرآني .
- ٦- إن دراسة الاختلاس في النص القرآني يكشف عمّا أحاط النص من غموض في الدلالة ويحلّ كثيراً من المشكلات التي وقع فيه الدرس اللغوي القديم .
- ٧- يقع الاختلاس في الأصوات المدية وحركاتها فقط من دون الأصوات الصامتة وذلك أنّ الأخيرة لها موقع في مدرج الفم تستند عليه ، فإذا خرجت عنه أبدلت بصوت آخر ، فيما أنّ المدية لم تعتمد على موقع معيّن في الفم لذا كان لها حرية الانتقال من موضع للأخر ممّا سهّل اختلاسها أو جزء منها ، فضلا عن إمكان ابدالها أو قلبها الى صوت آخر مماثل لها .

المصادر

القرآن الكريم

* الاتقان في علوم القرآن/ تأليف الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (المتوفى سنة ٩١١هـ) - ضبطه وصحّحه وخرّج آياته محمد هاشم سالم - بيروت - لبنان - دار الكتب العلميّة - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

* احياء النحو - إبراهيم مصطفى - القاهرة - ١٩٥٩م .

* الأصوات اللغوية - تأليف الدكتور إبراهيم انيس - الناشر مكتبة الانجلو المصرية - مطبعة حمد عبد الكريم حسان - ١٩٩٩م .

* اعراب القرآن/ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨هـ) - اعتنى به الشيخ خالد العليّ - بيروت - لبنان - دار المعرفة - الطبعة الثانية - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

* الاقتناع في القراءات السبع – أبو جعفر أحمد بن علي بن خلف الأنصاري – تحقيق عبد المجيد قطامش – جامعة أم القرى – السعودية – الطبعة الأولى – ١٤٣٠ م .

* املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن / أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٥٣٨-٦١٦هـ) مؤسسة الصادق للطباعة والنشر - طهران - مطبعة امير - الطبعة الثالثة - ١٣٧١هـ .

* أنوار الربيع في أنواع البديع/ تأليف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) – حقه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر – النجف الأشرف – مطبعة النعمان – الطبعة الأولى – ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

* البحر المحيط/ تأليف أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الشهير بأبي حيان الاندلسي الغرناطي (المتوفى سنة ٧٤٥هـ) – حقق أصوله وعلق عليه وخرج أصوله د. عبدالرزاق المهدي – بيروت – لبنان - دار إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

* البديع، ابن خالويه، تحقيق أ.د. جايد زيدان مخلف، ديوان الوقف السني، العراق، بغداد، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

* البرهان في علوم القرآن/ للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – بيروت – لبنان – المكتبة العصرية – الطبعة الأولى – ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
* البيان في روائع القرآن- دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني – د. تمام حسان – عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة – ٢٠٠٢م .

* التبيان في إعراب القرآن / أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري- تحقيق علي محمد الجاوي- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه – ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

* التفسير الكبير، الفخر الرازي(ت ٦٠٦هـ)، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٢٩هـ/٢٠٠٨م .

* جامع البيان في القراءات السبع/ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٢٧-٤٤٤هـ) – تحقيق أ. عبد الرحيم الطرهوني و د . يحيى مراد- دار الحديث القاهرة – ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

* حروف المعاني/ صنفه أبو القاسم عبدالرحمن بن أبي اسحاق الزجاجي (المتوفى سنة ٣٤٠هـ) – حقه وقدم له د. علي توفيق الحمد – أربد – الأردن – مؤسسة الرسالة – دار الأمل .

* الخصائص/ صنعة أبي الفتح عثمان بن جني – تحقيق محمد علي النجار – بغداد – وزارة الثقافة والاعلام – دار الشؤون الثقافية العامة – الطبعة الرابعة – ١٩٩٠م .

* الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني/ د. حسام سعيد النعيمي – الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دار الرشيد – ١٩٨٠م .

* السبعة في القراءات – أبو بكر بن أحمد بن موسى البغدادي المعروف بابن مجاهد – تحقيق شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – ١٩٧٢م .

* سر صناعة الاعراب - أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى سنة ٣٩٢هـ) - تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، و أحمد رشدي شحاته عامر - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٢م.
* شرح شافية ابن الحاجب الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي النحوي (ت ٦٨٨هـ) - تحقيق محمد نور الحسن و محمد الزفراف و محمد محيي الدين عبد الحميد - دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
* شرح المراح في التصريف - للعلامة بدر الدين محمد بن محمود العيني (ت ٨٥٥هـ) - حققه وعلق عليه د. عبد الستار جواد - مطبعة الرشيد - ١٩٩٠م.

* شرح النظام - تأليف نظام الله والدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٢٧هـ) - اخراج وتعليق علي الشملاوي - مكتبة العزيزي - قم - مطبعة الأمير - ط٦ - ١٤٢٧هـ .
* علم الأصوات اللغوية - د. مناف مهدي الموسوي - دار الكتب العلمية - الطبعة الثالثة - ١٤١٩هـ - ٢٠٠٧هـ .

* العنوان في القراءات السبع/ أبو ظاهر اسماعيل بن خلف المقرئ الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٥هـ) - حققه وقدم له د. زهير زاهد و د. خليل العطية - النجف الأشرف - مؤسسة المنار العراقية - الطبعة الثانية.

* فلسفة المنصوبات في النحو العربي - الدكتور عائد كريم علوان الحريزي - العراق - ٢٠٠٨م .

* الكتاب - سيبويه - بولاق - (١٣١٦-١٣١٧هـ) .

* الكشّاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل/ تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) - تحقيق عبدالرزاق المهدي - بيروت - لبنان - دار احياء التراث العربي/ الطبعة الاولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

* كتاب العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي - المتوفى سنة (١٧٥هـ) - تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي تصحيح الاستاذ اسعد الطيب - مطبعة باقري - قم - ط١ - ١٤١٤هـ .

* لسان العرب - للإمام العلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ) - نسقه وعلق عليه ووضع فهرسه - مكتب تحقيق التراث - دار احياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان - ط٢ - (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .

* مجاز القرآن، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

* معجم الصوتيات، أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، جمهورية العراق، ديوان الوقف

السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١ (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) .

* مجمع البيان في تفسر القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ .

* محاضرات في اللغة - الدكتور عبد الرحمن أيوب - مطبعة المعارف - بغداد - ١٩٦٦م .

* المدخل الى علم أصوات العربية - الدكتور غانم قدوري الحمد - منشورات المجمع العلمي -

مطبعة المجمع العلمي (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

- * مشكل اعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق أسامة عبد العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.
- * المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، الإمام المبارك بن الحسن الشهرزوري (ت ٥٥٠هـ)، تحقيق عثمان غزال، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- * معجم القراءات القرآنية - أحمد مختار عمر وعبدالعال سالم مكرم - جامعة الكويت - الطبعة الثانية - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- * معجم مقاييس اللغة/ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) - اعتنى به الدكتور محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان - بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * معاني الحروف/ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (ت ٣٨٤هـ) - حققه وخرّج شواهده وعلّق عليه وقدم له وترجم للرماني وأرّخ لعصره د. عبدالفتاح اسماعيل شلبي - القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - مطبعة دار العالم العربي.
- * معاني القرآن/ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى سنة ٢٠٧هـ) - تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار - دار السرور - د.ت.
- * مغني اللبيب عن كتب الأعراب - ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) - قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن محمد - أشرف عليه وراجعته الدكتورة أميل بديع يعقوب - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- * منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث - الدكتور علي زوين - وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - ط ١ - بغداد - ١٩٨٦م.
- * النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، قدم له الأستاذ علي محمد الضباع، خرج آياته الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)
- الرسائل الجامعية والمجلات**
- * الأفعال المعتلة في القرآن الكريم - دراسة لغوية - (رسالة ماجستير) - عقيل جاسم دهش العذاري - إشراف أ. م. د. حاكم مالك الزيايدي - كلية الآداب - جامعة الكوفة - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- * اختلاس الأصوات وإبقاؤها في بعض ألفاظ القرآن الكريم - دراسة صوتية، د. عادل عباس النصراوي - مجلة ينباع - العدد ٤ - لسنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.